

كتاب البرهان لابن سينا

وصلته ببرهان أرسطو (١)

للكثور أهر المعز عفيفي

كان من محاسن الصدف أنني انتهيت — قبل مجيئي إلى هذا المهرجان — من إعداد كتاب البرهان من منطق الشفاء للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا توطئة للشرة في سلسلة مؤلفاته التي تشرف على إخراجها وزارة التربية والتعليم المصرية . ولم يكن المنهج الذي بذلته في قراءة هذا النص الهام وتفهم معانيه ومقارنته بكتاب البرهان لأرسطو إلا خطوة من خطى كثيرة يجب أن يخطوها الباحثون في طريق شاق طويل قبل أن يقولوا كلمتهم الأخيرة في منزلة ابن سينا الذي نحتفي بعيدة الألفي اليوم من تاريخ الفلسفة الإسلامية بوجه خاص ومكاته من تاريخ الفكر الإنساني بوجه عام . فإن حكمتنا على إنتاج ابن سينا وقيمته وصلته بالتراث الفلسفي السابق عليه ، إن لم يكن مستندا إلى دراسة تحليلية عميقة لآثار الفيلسوف نفسه جاء بها قاصراً بل خاطئاً ومضللاً كذلك الأحكام التي أصدرها على ابن سينا نفسه وعلى الفلسفة الإسلامية برمتها مؤرخو القرن التاسع عشر الأوروبيون .

وأنا اليوم لا أدعي حكماً عاماً على الفلسفة الإسلامية برمتها ولا على ابن سينا في جملة إنتاجه ولا على منطق كنه بل على جزء محدود من ذلك المنطق هو كتابه في البرهان ، وذلك بعد أن درسته وقارنته بالكتاب الرابع من منطق أرسطو المعروف بأنالوطيقا الأواخر أو التحليلات الثانية Analytica Posteriora (٢)

(١) بحث أقمي في مهرجان العيد الألفي لابن سينا الذي عقد بمدينة طهران في ٢١ - ٣٠ من شهر أبريل ١٩٥٤ .

(٢) عرف عند العرب أيضاً بكتاب البرهان وترجمت هذه الكلمة في القرون الوسطى الطيعة بكلمة Demonstration وهي الصورة اللاتينية للكلمة اليونانية ἀποδείξις (أبوميكس) التي استعملها أرسطو عنواناً لهذا الكتاب . ويظهر أن كلمة Demonstration لم تنتشر في الاصطلاح المنطقي إلا بعد ظهور الترجمات اللاتينية لكتب المناظرة العرب : ولم يكن معناه قبل ذلك أكثر من مجرد الإيضاح والبيان أو وضع الشيء أمام العقل كما لو كان ماثراً إليه .

والنتيجة التي وصلت إليها هي أن كتاب البرهان لابن سينا صورة عربية مكبرة لتحليلات أرسطر الثانية . أما كيف أخذت هذه الصورة عن الأصل ، ولماذا جاءت أكبر من الأصل ، وما هي درجة القرابة بينها وبين الأصل ، فهذه أمور أرجو أن أجليها أثناء هذا الحديث .

ولو كانت الصلة بين ابن سينا وأرسطو مباشرة لكان الخطب أيسر ، ولكننا لسوء الحظ مضطرون إلى النظر في وسطاء عديدين بين الفيلسوفين ، وهم وسطاء كان لهم من غير شك أثر بالغ في تشكيل التحليلات الثانية الأرسطية على النحو الذي عرض به ابن سينا مادتها في كتاب البرهان .

ولهذا نجد أن مشكلة الصلة بين الكتابين ذات شقين مختلفين يجب النظر في كل منهما على حدة وإن كان كل منهما يكمل الآخر . الشق الأول هو صلة ابن سينا بأرسطو في هذا الكتاب ، أو بعبارة أخرى ، العناصر الأرسطية المنطقية المستمدة من التحليلات الثانية . والشق الثاني هو الطرق التي بواسطتها وصلته المادة الأرسطية ، فإننا نعلم أن ابن سينا لم يكن يعرف اللغة اليونانية فيأخذ ما أخذه عن أرسطو مباشرة ، كما أنه بما لا شك فيه أنه لم يعرف التحليلات الثانية الأرسطية وحدها عند ما عرفها مترجمة إلى اللغة العربية ، وإعجابها بما عليها من شروح الشراح اليونان والسريان وتعليقات بعض مفكرى المسلمين . ولذا كان لمعرفتنا بالأدوار التي مر بها كتاب أرسطو وما عمل له من ترجحات وما وضع عليه من شروح قبل وصوله إلى ابن سينا قيمة بالغة في فهم كتابه وإدراك العناصر المختلفة ، الأرسطية وغير الأرسطية ، التي نجدها فيه .

أما الشق الأول من مشكلتنا فقد عالجته بأن قمت بتحليل فصول كتاب البرهان إلى أهم عناصرها وحاولت - كلما استطعت - أن أقارنها بأصولها من التحليلات الثانية لأرسطو حيثما وجدت . فوضح لي وضوحا تاما أن ابن سينا أخذ مادة كتابه في هيكلها العام من هذا الكتاب الأرسطي ، وإلى حد ما من كتب أرسطو المنطقية الأخرى ، بل ومن كتبه غير المنطقية . إلا أن أخذه عنه يختلف درجة ونوعا : فهو أقوى في المقالتين الثالثة والرابعة وأضعف في المقالتين الأولى والثانية .

فهو يلخص في مقالة الثالثة المقالة الأولى من التحليلات الثانية ، ويلخص في مقالة الرابعة المقالة الثانية من الكتاب المذكور . أما في مقالة الأولى والثانية فهو أكثر استقلالاً عن أرسطو في منهج التأليف وطريقة عرض المسائل وترتيبها وشرحها .

وأما الشق الثاني من المشكلة — أعني الطرق التي بواسطتها عرف ابن سينا التحليلات الثانية — فيقتضينا أن ننظر في المراحل التي مر بها كتاب أرسطو في الترجمة والشروح والتعليقات قبل عصر ابن سينا ، لأن الصلة التي تربطه بترجم أرسطو أيا كان ذلك المترجم ، وبشرح أرسطو ، لا تقل في نظرنا عن أهمية تلك التي تربطه بأرسطو نفسه . إذ على هؤلاء عول وعنهم أخذ أخذاً مباشراً . بل ربما كان لهم أثر غير قليل في فهم ابن سينا لمادة كتاب البرهان ودقته أو عدم دقته في فهمها وعرضها وصياغتها . أما عن الترجمة ، فالذي نعرفه من المراجع التي بين أيدينا أن كتاب التحليلات الثانية لأرسطو قد نقل إلى اللغة العربية على مرحلتين : نقله إلى السريانية إسحق ابن حنين (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ) ثم نقل أبو بشر متى بن يونس المترجم اللسطورى (المتوفى سنة ٣٢٨) ترجمة إسحق إلى العربية^(١) . وهذه هي الترجمة التي نشرها سنة ١٩٤٩ الدكتور عبد الرحمن بدوي عن مخطوطة بلريس في المجلد الثاني من منطق أرسطو . ولكن الأستاذ مينو بالويلو Mino Paluello يحدثنا عن ترجمة عربية أخرى لكتاب التحليلات الثانية عرفها ابن رشد واعتمد عليها في شروحه على أرسطو ، كما انتفع بها معاصرونا في نهجها له هجرار الكرمي Jerard of Cremona (المتوفى سنة ١١٨٧)^(٢) . ولكن ليس لهذه الترجمة ذكر في المراجع العربية التي بين أيدينا ، كما أن ابن رشد لم يذكر اسم واضعها .

(١) فهرست ص ٣٤٨

(٢) راجع مقالة الأستاذ فالتر Walzer في مجلة Oriens المجلد السادس ١٩٥٣ ص ٩١ وما بعدها . وربما انتفع بها أيضاً الفادان الذي حكى عن نفسه — كما يقول صاحب طبقات الأطباء (ج ٢ ص ١٣٥) — أنه تعلم من يوحنا بن حيلان إلى آخر كتاب البرهان . فربما فهم من هذا أنه قرأ معه كتاب البرهان في ترجمة عربية لا يمتثل أن تكون ترجمة أبي نصر .

وأما عن شروح التحليلات الثانية فيقول ابن النديم : شرح ثامسطيوس
هذا الكتاب شرحاً تاماً وشرحه الإسكندر ولم يوجد ، وشرحه يحيى النحوى .
ولأبي يحيى المروزي الذي قرأ عليه متى (بن يونس) كلام فيه . وشرحه أبو بشر متى
والفارابي والكندي ، .

فالظاهر من عبارة ابن النديم :

(أولاً) أن العرب قد عرفوا شروح ثامسطيوس والإسكندر ويحيى النحوى .
وهم وإن لم يكونوا قد عرفوا هذه الشروح كلها في ترجمات عربية كاملة فقد عرفوا
على الأقل أجزاء منها . وابن سينا واحد منهم .

(ثانياً) أن أبا يحيى المروزي أستاذ متى بن يونس كان أول شارح للتحليلات
الثانية في العالم الإسلامى . وأغلب الظن أنه كتب شرحه باللغة السريانية لأنها
كانت اللغة التي ألف بها (١) .

(ثالثاً) أن أول شارح لهذا النص باللغة العربية كان أبا بشر متى بن يونس
الذي كانت شروحه على كتب أرسطو المنطقية الأربعة — على حد قول القفطى —
مما يعول عليه الناس في قراءتهم .

(رابعاً) أن الفارابي كتب شرحاً على هذا الكتاب ، ولكن الذي نعرفه
أن للفارابي تعليقات عليه وهي موجودة في مجموعة تفاسيره على منطق أرسطو
وتعالق ابن باجه عليها في مخطوطة بالأسكوريال (٢) . ولسوء الحظ لم تنح لي فرصة
الاطلاع على هذه التعليقات بعد . وأغلب الظن أنها عظيمة القيمة في بحثنا هذا .

أما شرح الكندي الذي يشير إليه ابن النديم فلا أعلم عنه شيئاً ، ويبدو أن يكون
الكندي قد كتب شرحاً على التحليلات الثانية بالمعنى الصحيح لأن الكتاب
لم يكن معروفاً في ترجمة ما سريانية أو عربية إلى عهد الكندي ، بل لم يكن يسمع

(١) يقول القفطى (ص ٢٦٥) ولأبي يحيى المروزي الذي قرأ عليه متى كلام فيه والظاهر أنه سرياني .

(٢) الأسكوريال رقم ٦١٢

بتدريسه في الأوساط العلية التي عاش فيها الكندي ، وإنما كان يقف المتعلمون عند آخر الأشكال الوجودية من التحليلات الأولى ، وذلك لأن الأوساط الدينية المسيحية كانت تخشى شيئاً من زعزعة العقائد عند المتعلمين إذا هم درسوا الحق كما يقرره الدين والحق كما يقرره صاحب البرهان (التحليلات الثانية) .

كانت هذه حال كتاب التحليلات لأرسطو وشروحه في العالم الإسلامي إلى زمن ابن سينا : فمن أي مصدر من هذه المصادر استمد مادته في كتاب البرهان ؟ لقد اطلع من غير شك على ترجمة عربية لكتاب أرسطو لأنه يشير صراحة إلى مترجم ما من غير أن يذكر اسمه فيقول : « ثم إن المترجم يقول كذا وكذا » . فهل كان هذا المترجم أباً بشرمى بن يونس أم صاحب الترجمة الأخرى التي تحدثنا عنها ؟ ثم إن عبارة ابن سينا السابقة تدل على أن المترجم الذي يتحدث عنه كان يعرف اللغة اليونانية لأنه — في الموضوع الذي يشير إليه فيه — يناقش مسألة لغوية يونانية . وأبو بشر — على ما نعلم — لم يكن يعرف اليونانية وقد نقل كل ما نقله من السريانية إلى العربية .

ولقد اطلع ابن سينا من غير شك أيضاً على شروح للتحليلات الثانية — لا على شرح واحد — كما يدل عليه قوله : « وقد أوردوا في الشروح ، وقوله : « فهذه الأقوال مما قيل في التعليم الأول (أي منطق أرسطو) وفي الشروح » (١) وقوله : « فأما بعض المفسرين فيقول ، (٢) وغير ذلك من العبارات الكثيرة التي تفيد أنه كان على إمام شروح الكتاب الأرسطي إلى جانب إمامه بنص مترجم .

بل لا يخامرني شك في أنه عرف شرحي الأسكندر الأفروديسي ويوحنا النحوي على نص أرسطو — إن لم يكن في ترجمة عربية كاملة لهذين الشرحين — فعلى الأقل في بعض أجزائهما التي تربت إلى البينات المنطقية الإسلامية ابتداء.

(١) كتاب البرهان مخطوط المتحف البريطاني و ١٠٧ ١ .

(٢) نفس المرجع ١١٧ ب

من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري عن طريق مدرسة العراق السريانية المسيحية . كما أنه ليس بعيد أن يكون قد اطلع على تعليقات الفارابي على التحليلات الثانية وانفع بها كما انتفع بواضعها في فنون أخرى من فنون الفلسفة . أما معرفته بشرحى الأرسطو وبمجي النحوى فظاهرة من بعض تعليقاته على النصوص الأرسطية التي يقتبسها من الكتاب : مثال ذلك قوله في الفصل الثالث من المقالة الثالثة من كتاب البرهان ، فقد قيل في التعليم الأول ما هذا لفظه : « وأيضاً في الأشياء التي يوضع الأوسط فيها خارجاً إنما يكون البرهان على « لم هو ، إذا كان أخبر بالعلة نفسها . فإن لم يخبر بها نفسها لم يكن برهان على لم بل على إن . » وفي تفسيره لهذه الفقرة يقول إنها تحمل وجهين ، ويذكر وجهي نظر الأرسطو الأفروديسي وبمجي النحوى فيها من غير أن يذكر اسميهما . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وما على الباحث في كتاب البرهان إلا أن يدقق النظر في المواضع التي يفصل فيها ابن سينا الآراء ويناقشها ليتبين له مدى ما أخذه عن الشراح ومدى ما استقل به عنهم .

ولكن ابن سينا إن استمد بعض مادة كتابه في البرهان من شراح أرسطو فقد استمد الجزء الأكبر والأهم منه من النص الأرسطى نفسه ، ذلك النص الذي حاذاه — على حد قوله — وأخذ منه كثيراً من مسائله بترتيبها وأمثلتها واصطلاحاتها .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : أى نص عربى لكتاب التحليلات الثانية الأرسطية عرفه ابن سينا وبنى عليه دراسته في البرهان ؟ لو لم نعلم بوجود ترجمة أخرى لهذا الكتاب غير ترجمة أبى بشر لجزمنا بأن ترجمة أبى بشر كانت المصدر الذى أخذ عنه . ولكن عندى من المبررات ما يحملنى على الاعتقاد بأنها لم تكن ذلك المصدر .

(أولاً) أن مقارنة النصوص التي اقتبسها ابن سينا من أرسطو اقتباساً مباشراً ونص على أنها من أقوال المعلم الأول بلفظه ، بنظائرها في ترجمة أبى بشر قد أثبت أنه لا تطابق بينهما إلا في حالة واحدة هي ترجمة فقرة وردت في ٧٦ ب : ٢٥ — ٣٠

من كتاب أرسطو^(١) . أما ما عداها من الاقتباسات فلا مطابقة ألبتة بينها وبين
نظائرها في ترجمة أبي بشر . فلو أن ابن سينا استعمل ترجمة أبي بشر لأورد
النصوص التي اقتبسها من المعلم الأول بعبارة أبي بشر دون تغيير أو تصرف
ولكنه لم يفعل .

(ثانيا) أن ترجمة أبي بشر للتحليلات الثانية ترجمة سقيمة عقيمة مستغلقة المعنى
مستحيلة الفهم بخافية للذوق العربي ، لا يستطيع القارئ فهمها إلا إذا فهم النص
الأصلي ، لأنه حرص على ترجمة ألفاظ الأصل ترجمة حرفية ، ووضع هذه الألفاظ
بعضها إلى جانب بعض من غير أن تفيد معنى عاما في معظم الأحوال . فمن غير
المحتمل أن تكون هذه الترجمة المصدر الذي أخذ عنه ابن سينا مادته في كتاب
البرهان وهي مادة واضحة مفهومة في جملتها . وليس هذا رأي وحدي في أبي بشر
وأسلوبه في الترجمة ، فقد عرف له القدماء وكا كتبه وعمته واستغلق معانيه فوصفوه
بالوصف الذي هو جدير به . يقول فيه ابن النديم : « كتبه مطرحة بحفوة
لأن عبارته كانت عطفية غلقة »^(٢) . وفي اعتقادي أن أبا بشر أسوأ مترجمي
الأرجانون على الإطلاق إذا قورن بأعني بن حنين الذي ترجم كتابي المقولات
والعبارة أو بأبي عثمان الدمشقي الذي ترجم كتاب الجدل أو غيرهما من مترجمي
المنطق الأرسطي .

وقد أشرت إلى أمر يصح أن تتخذه دليلا ثالثا على أن النص الأرسطي الذي
استخدمه ابن سينا لم يكن ترجمة أبي بشر ، وهو أن مترجم النص الأرسطي الذي عرفه
ابن سينا كان ملما باللغة اليونانية وأبو بشر لم يكن يعلم هذه اللغة .

لهذه الأسباب مجتمعة أستبعد احتمال أن يكون ابن سينا أخذ مادته من ترجمة
أبي بشر — أو على الأقل منها وحدها — وأرجح أحد احتمالين آخرين .

(١) أنظر ترجمة أبي بشر — منطق أرسطو ج ٢ ص ٣٤٠ ؛ وقارن برهان ابن سينا و ٩٦ ب .

(٢) التمهيد ط معز ص ٣٩٧ ؛ والعطف بالكسر ولكن .

الأول : أن يكون قد عرف الترجمة الأخرى التي عرفها ابن رشد وجيرار الكريموني من بعده ، وانفع بها إلى جانب اتفائه بالشروح المختلفة التي كانت شائعة في عصره . وهذه الترجمة لسوء الحظ لا نعرف عن واضعها شيئا .

الثاني : أنه لم يعرف هذه الترجمة الثانية بل عرف ترجمة أبي بشر ولكنه عرفها مع شرح أبي بشر نفسه عليها ومع الشروح الأخرى . أما قيمة شرح أبي بشر على النص الأرسطي وأسلوبه ودرجة وضوحه فهذه أمور لا نستطيع الحكم عليها لعدم وصول هذا الشرح إلينا .

والآن نشير إلى منهج ابن سينا في الكتاب وإلى الدور الخاص الذي قام به فيه .

لم يلتزم ابن سينا منهجاً واحداً في معالجته لموضوعات كتاب البرهان كلها . ولذا اختلفت فصول الكتاب اختلافاً يبين في طريقة معالجة المسائل وعرضها . فبعض الفصول لا يبدو أن يكون تلخيصاً للأفكار الأرسطية يسير فيها على نفس النمط الذي سار عليه أرسطو في كتابه ، ويعرضها فقرة فقرة شارحاً لما تارة ومعلقاً عليها تارة أخرى . وهذه هي الفصول التي ذكر أنه « يحاذي فيها المعلم الأول » ، وهي عاذاة واضحة كل الوضوح في جميع فصول المقاتلين الثالثة والرابعة اللتين لحص فيهما أهم ما أورده أرسطو في الفصول ١٣ — ٣٤ من مقالته الأول ، وجميع فصول المقالة الثانية : أقول لحص فيهما أهم ما أورده أرسطو لأنه لم ينقل عن أرسطو كل شيء بل اكتفى بالمائل الرئيسية وترك التفاصيل كما ترك معظم الأمثلة الرمزية الصورية التي يلجأ إليها أرسطو في إيضاح قواعده . وكثيراً ما يتخلل تلخيص ابن سينا وشرحه وتعليقاته اعتراضات يثيرها في صورة « فأن قيل كذا وكذا ، وأغلب الظن أنها اعتراضات أثارها الشراح ، ويجب عنها إجابة متصرفة لتعاليم أرسطو غير خارج على أقواله .

وفي الكتاب عدد غير قليل من الفصول التي جمع ابن سينا مادتها من أجزاء مختلفة من التحليلات الثانية لأرسطو ولم يلتزم فيها ترتيب فصول المعلم الأول ، أو جمعها من التحليلات الثانية ومن كتب أرسطو المنطقية الأخرى ثم شرحها وفصل القول فيها . وهذا النوع غالب على فصول المقالة الثانية .

وباقى الفصول هو من النوع الذى استقل فيه ابن سينا عن أرسطو استقلالاً ملحوظاً فوضعه وضماً أو استوحى فيه أقوال الشراح . وهذا غالب على الفصول الأولى من المقالة الأولى من الكتاب .

قد يتبادر إلى الذهن بعد كل الذى ذكرناه أن ابن سينا ليس مؤلفاً بالمعنى الصحيح لكتاب البرهان لأنه لم يضع كتاباً جديداً ولم يبتكر نظريات منطقية لم يسبق إليها ، ولم يتجه بنظرية البرهان الأرسطية وجهة جديدة ، بل لم يتغدها فى ناحية من نواحيها ، وأن الأجدر أن يوصف بأنه جامع لمائل البرهان الأرسطى عارض وشارح ومبسط لها . ولكن هذا حكم فيه الكثير من القسوة ومخافة العدل والإنصاف فأتينا لاستطيع أن نصفه بأنه شارح لكتاب البرهان على نحو ما نصف ابن رشد أو أى شارح أرسطى آخر : لأنه لم يعن بتفسير النص الأرسطى بقدر ما عنى بتوضيح القواعد الأرسطية . كما أنه لم يكن جماعاً لمادة أرسطوفى البرهان على نحو ما وضعت المجاميع والمختصات للكتب الأرسطية ، بل هو جماع يختار ما يرضيه من الآراء ويترك ما لا يرضيه ، ويؤاظم بين ما يختاره فى نسق متظم ويناقش كل ذلك ويحلله ويفسره .

على أن ابن سينا لم يلتزم فى كتابه حدود كتاب البرهان الأرسطى ، بل تجاوزها فى استطراداته إلى ميادين أخرى من ميادين المنطق ، بل إلى ميادين علم النفس والطبيعة وغير ذلك مما تظهر فيه شخصية الفيلسوف وسعة علمه وعمق تحليله وتفكيره . ومن أمثلة ذلك أنه بعد أن شرح القاعدة الأرسطية القائلة إنك إذا فقدت حاسة فقد فقدت علماً ، يستطرد فيتكلم فى أنواع العلم المكتسب منها بالحس والمكتسب بغيره ، ويدال على إمكان الوصول إلى المعانى العقلية وغير ذلك مما بسطه فيما بعد فى كتاب الاشارات^(١) .

وإذا لم يؤلف ابن سينا كتاباً جديداً فى البرهان بل كان مجهوده فيه بمجهود جامع ملخص عارض معقب معلق على برهان أرسطو ، فأين فضله إذن

(١) أنظر الاشارات فى النقط الرابع فى الوجود وعلمه .

وما هي قيمة كتابه؟ الحق أن فضله إنما هو في هذه كلها مجتمعة . وليس بقادح في قيمة الكتاب أن مادته هي مادة البرهان الأرسطي في جوهرها .

لم تكن المهمة التي اضطلع بها ابن سينا مهمة يسيرة أو هينة . فقد كان عليه أن يعرض لأول مرة في تاريخ المنطق في العالم الإسلامي صورة من صور البرهان الأرسطي في لغة إن لم تكن واضحة الوضوح كله هي على الأقل لغة مفهومة في جملتها خالية من العجمة والوكاكة اللتين امتازت بهما ترجمة متى بن يونس .

ولست موضوعات البرهان الأرسطي من الموضوعات التي يسهل فهمها واستيعاب معانيها ومراميها حتى على المتحريين بصناعة المنطق والفلسفة ، بل تحتاج إلى تأمل عميق وفهم دقيق وإحاطة شاملة بالتراث الأرسطي المنطقي والفلسفي . كما أن لغة أرسطو في البرهان ليست باللغة المستقيمة الواضحة ، بل هو أعقد وأعوص كنهه المنطقية وأكثرها تركيزاً على الإطلاق .

فإذا استطاع ابن سينا أن يخرج للعالم العربي في مثل ظروفه القاسية المظلمة ، ومن غير استعانة بأستاذ ما ، كتاباً في نظرية البرهان يمكن فهمه واستيعابه ، بل كتاباً كان يعتمد عليه كل باحث عربي في العالم الإسلامي من بعده ، كان ذلك فضلاً عظيمًا له ولكتابته ونصراً مينا لعبقريته .

على أن هناك حقيقة يجب ألا نتجاهلها في حكمنا على ابن سينا وعلى منطقته بوجه خاص : وهي أنه يمثل في تاريخ نقل التراث الفلسفي إلى العالم الإسلامي مرحلة وسطى بين مرحلتين ، الأولى مرحلة الترجمة التي كان هم أصحابها نقل الكتب اليونانية إلى العربية من غير محاولة لتجديد فيها نقلوه أو إضافة شيء عليه أو نقده . والثانية مرحلة التأليف الحر غير المقيد بالأصول اليونانية على الرغم من تأثره بهذه الأصول . فابن سينا يقف وسطاً بين هذين الطرفين لا هو حر على الإطلاق ولا مقيد على الإطلاق بل يتردد بين الحرية والتقييد . وهذه ظاهرة نلسمها في أسلوبه في كتاب البرهان كما نلسمها في مادته . بل إن الغموض الذي نصادفه في بعض أجزاء الكتاب إنما مرده في اعتقادي إلى شدة حرصه على متابعة الأصول التي ينقل عنها ولو أنه تحرر من قيودها ليس له قياد الأسلوب والفكر معاً .

ومهما يكن من شيء ، فإننا يجب ألا نلجأ على إنتاج ابن سينا بموازين الدراسات
الأرسطية في القرن العشرين بعد أن فرقت القرون العشرة الماضية بيننا وبينه
وباعدت بين أسلوبنا وأسلوبه وتفكيرنا وتفكيره . ولن نستطيع أن نرجع بعجلة
الزمان هذه القرون العشرة فنجعل من كل دارس لأرسطو تلميذا كابن سينا .
ومع هذا سيحفظ له التاريخ منزلة مرموقة في سجل الأفراد الذين تدين لهم الإنسانية
بالشيء الكثير في تطورها الفكري .